Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مقام ذكر نعم الله سبحانه وتعالى وفضائله على عباده، والتى تذكّر بآيات الله فى الآفاق، وتلفت الأنظار إلى مشاهد الكون ونواميسه، وتعرّف ما ينتظر العباد فى الآخرة. كما ورد توازى المسافات فى سياق الضراعة والنجوى، وقد ورد كذلك فى سياقات التهديد والوعيد التى يعمَد فيها النص إلى الاتكاء على التأثير السمعى للردع والزجر. وإذ يتابع المرء هذه السياقات يستطيع أن يستنتج لماذا كان أكثر وقوع التساوى العددى داخل السور المكية.

وبما أن الإحصائيات دالة بخصوص تواتر الاستعمال، فإن أوّل ما يتبادر إلى الذهن هو أن نوعيّة المجالات الدلالية لسياق الكلام هى التى تبعث على كل اختلافات الشكل فى الكم المقطعى. فهل يوجد ما يسمح بالبرهنة على أن توازى المسافات يناسب سياق الضراعة والنجوى، وسياق التهديد والوعيد، وبقية السياقات المذكورة عاليه، وأن اهتزازها يناسب السياقات الأخرى فى الخطاب القرآنى؟ ليس ثمة ما يُعتَمد عليه لتوكيد هذا التناسب، إذ لو كانت بعض السياقات لا يناسبها سوى ضرب بعينه من التشكيل المسافى، لوجدنا السورة القائمة على التهديد والوعيد –مثلاً– لا تبرح التوازى المسافى، لكن ذلك لم يقع. فأنماط التشكيل المسافى قد تنوّعت داخل السياق نفسه، فجاءت المسافة الإيقاعية متوازنة حينًا، واهتزت حينًا آخر. ومن ثم نخلُص إلى أن الأشكال المجردة تتسع لكل السياقات ولا تختص ببعض دون آخر.

يبقى تساؤل يطرح نفسه علينا: ما العامل الذى يحدد نموذج الأطوال فى السجع القرآنى؟ يبدو أن ذلك العامل لا علاقة له بمسألة الاستحسان لقالب شكلى دون غيره، وإلا لحرص النص القرآنى على تنسيق المسافات وفقاً لما يشتهى للكلام من تناظر وتوافق إيقاعى، وهذا ما لم يحدث.

لا يمكن – إذن– تقويم نموذج الأطوال فى علاقته بأحوال الخطاب ومقاماته، كما لا يمكن تقويمه فى علاقته بمطالب المتلقى ورغباته، فما زال التشكيل المسافى فى السجع القرآنى يحتفظ بأسراره التى يُمكن استكشافها تاركين النص نفسه ينبئ عنها.

تبين من القراءة الفاحصة للسجع القرآنى أن نموذج الأطوال فى كل وحدة سجعية قد جاء مقصودًا، فالملاحظ أنه جاء تابعًا للمعانى يتكيّف بشكلها فإذا توازت المعانى وتزاوجت؛ تزاوجت وتناظرت المسافات مثلها، وإذا استرسلت